6 أبريل: ماذا يعنى للمصريين؟

أثبت شباب 6 أبريل أن النشاط السياسى فى فضاء »الإنترنت« ليس معزولا عن أرض الواقع، وأكدوا، مجدداً، أن الفراغ السياسى الذى امتد لأكثر من عقدين لم يعد قابلاً للاستمرار حتى إذا تم حظر كل أشكال الاحتجاج.

لقد دخل يوم 6 أبريل تاريخ مصر السياسى منذ عامين ليس لأنه يوم مشهود، وإنما لأن الفراغ الذى يعيشه المصريون هو المشهود. فلا يتيسر لكلام ينتشر فى فضاء »الإنترنت« أن يحرك أحداثا على الأرض إلا إذا كان الفراغ السياسى سائدا فى الواقع.

وهذا هو ما جعل الدعوة العشوائية قبل عامين إلى إضراب غير محدد المعالم فى يوم 6 أبريل تتحول إلى حركة سياسية تساهم فى صنع المشهد الذى نراه الآن. فقد ساهمت هذه الحركة، التى بدأت فى الفضاء، فى خلق »ظاهرة البرادعى« التى ما زالت حيويتها مستمدة من حضورها على »الإنترنت«.

وحدث ذلك نتيجة استمرار الجمود فى الحياة السياسية المصرية وانحسار »الحراك« القصير الذى اقترن بتعديل المادة 76، فلم تبق من هذا الحراك قبل »ظاهرة البرادعى« إلا احتجاجات فئوية صغيرة، وكان استمرار هذه الاحتجاجات أمرا جديدا دق ناقوس إنذار لم يسمعه من اكتفوا بإجهاض

الاحتجاجات السياسية وإحباط تحركات القائمين بها، إلى جانب احتواء الاحتجاجات الفئوية. ولم يجدوا صعوبة فى ذلك بسبب ضغف الأساس الذى قامت عليه حركات الاحتجاج، بما فى ذلك حركة 6 أبريل التى بدا أنها تستخدم سيارة قديمة فى انتقالها بين فضاء »الإنترنت« وأرض الواقع.

بدأت تلك الحركة مرتبكة، سواء فى تحديد نوع الاحتجاج أو فى تنظيمه، وبدت فى بعض الأحيان مفارقة للواقع، خصوصا حين ظهرت دعوة إلى عصيان مدنى فى غير محله وزمنه.

غير أن الفراغ الناجم عن استمرار الجمود السياسى أعطى حركة 6 أبريل زخما استهانت به السلطات لمجرد أنها نجحت فى محاصرتها.

وهنا، تحديدا، جوهر المشكلة، فالقدرة الأمنية على محاصرة حركة ما لا تعنى نجاحا سياسيا، بل العكس قد يكون هو الأكثر صحة فى معظم الأحيان، خصوصا حين يكون قطاع متزايد فى الرأى العام مستعدا للمرة الأولى منذ خمسة عقود للاهتمام بما يحدث حوله، وقلقا على البلاد والعباد فى لحظة يتسع فيها نطاق التساؤلات عن مستقبل السياسة والحكم.

ولعل هذا هو ما يُشكل معنى 6 أبريل بالنسبة إلى لمصريين الذين يبحثون عن طريق إلى المستقبل لا يجدون ما يدلهم عليه وسط الفراغ السياسى.

ولذلك تمكنت الحركة التى بدأت بالدعوة إلى إضراب فى 6 أبريل 2008

من إعادة إنتاج نفسها، لأن الفراغ السياسى يجعل الساحة مهيأة لظهور قوى جديدة مادام القديم مكتفيا بما لديه ومعتقدا أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان.